

# Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (مجلة) جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانية)

Volume 3 | Issue 1

Article 4

2020

## اساطير الفتح الاسلامي في الاندلس

عمر شلبي  
r.journal@hebron.edu, جامعة الخليل

Follow this and additional works at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b)



Part of the [Arts and Humanities Commons](#)

### Recommended Citation

Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (مجلة) "اساطير الفتح الاسلامي في الاندلس", شلبي, عمر (2020) Vol. 3 : Iss. 1 , Article 4. مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانية)  
Available at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b/vol3/iss1/4](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b/vol3/iss1/4)

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانية) مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).



## أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس

\* عمر راجح شلبي

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخليل - فلسطين

### المخلص:

يتناول هذا البحث الأساطير التي واكبت الفتح الإسلامي للأندلس مثل أسطورة حرق المراكب وخضبة طارق بن زياد، وأساطير الكنوز الأندلسية وبيت الحكمة، والخلاف بين موسى وطارق. كما تم في هذا البحث مناقشة تلك الأساطير والهدف من نشرها، والجهة أو الجهات التي لها مصلحة من ورائها، وأثرها على مستوى الأفراد والجماعات.

### Abstract :

This research paper discusses the legends of Islamic Conquer of Andalus . It includes the issue of burning the ships , Tareq Ben ziad speach, the Andalusian reasures , and Beit al – Hekma . The above mentioned legends , as well as the reasons behind them , and those who were preaching such issues , have been thourouly discussed in this research paper .

للمواقع وأحداثه الجارية .

والأساطير في اللغة : الأباطيل ، وهي أحاديث لا نظام لها (1) ، ويقال سطرّ الأكاذيب وسترّ علينا : قصّ علينا الأساطير ، وهي الأحاديث العجيبة (2) ، وفي التنزيل قوله تعالى: "إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (3) أي أكاذيب الأولين (4).

إنّ الأساطير في اللغة والقرآن ليست إلا مجرد أكاذيب لا أصل لها على أرض الواقع ، وهي نسيج خيالي مبدع ، الهدف من ورائها الوصول إلى قيمة أو هدف معين : سياسي أو اجتماعي أو ديني أو غير ذلك .

يقول فراي: "إنّ الأسطورة بناء يحدد المعتقدات الدينية والتراث التاريخي والافتراضات التخمينية حول الكون في مجتمع من المجتمعات" (5) .

لهذا فإنّ الأسطورة قد تكون رمزاً للعلم أو للدين ، أو تعبر عن قوانين وطقوس خاصة ، والأسطورة قد تروى مرات عدة ، ويدخلها الزيادة والتحوير ، لتتوافق وهدف الراوي نفسه .

ويذكر ماكينوفسكي أنّ الأسطورة لم تظهر استجابة لدافع المعرفة والبحث ، ولا علاقة لها بالنفس أو البواعث النفسية الكامنة ، بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف إلى تحقيق نهاية عملية ، فهي تُروى لترسيخ عادات قبلية معينة أو لتدعيم سيطرة عشيرة ما أو أسرة ، أو نظام اجتماعي ، وما إلى ذلك ، فهي والحالة هذه عملية في منشأها وغايتها (6) .

وفي مثل هذا المعنى يقول لوبون إنّ غاية الأساطير الدينية والسياسية بث الحياة والحركة والتطور في الأمة (7) ، وعلى ذلك تصبح الأساطير ضرورية ومهمة في حياة الأمة للوصول إلى هدف وغاية معينة ، بشرط أن لا تنغمس أمة أو شعب ما بالأساطير والخرافات ، لأن ذلك لن يؤدي إلى بث الحياة والحركة والتطور في الأمة كما قال لوبون ، بل يؤدي إلى شل حركة الأمة ، وعدم قدرتها على تأدية دورها

## مقدمة:

تأتي أهمية الأساطير في الأندلس لتعدد العناصر السكانية فيه ، وإلى كثرة الشعوب المتعاقبة على حكم شبه الجزيرة من الإيبيريين والكلت والغنيقيين والإغريق والقرطاجيين والرومان والوندال والآلان والقوط الغربيين والمسلمين ، فكان لتعاقب هذه الشعوب في الحكم أهمية في صياغة الأسطورة الأندلسية والتأثير بها ، ولم يكن العرب والبربر وحدهم أبطال الأساطير ، بل نجد الإسبان لديهم الكثير من الأساطير التي تركز في غالبيتها على ضرورة مقاومة الخطر الإسلامي ، والاستبسال في الحروب وتبرير هزيمتهم أمام العرب .

كما أنّ الأساطير لها أهميتها في الدراسة التاريخية ، لأن كتابة التاريخ تهدف إلى الوصول للحقيقة أو أقرب ما يكون لها ، وإذا ما اعتقدنا بصحة الأساطير وتناولناها كحقيقة تاريخية ، فإننا نبتعد عن الوصول إلى الحقيقة ، بل لا نصل إليها أبداً ، فقد أشاد العديد من المؤرخين بطارق بن زياد لأنه أحرق سفنه وعدّوا ذلك بطولة فريدة من نوعها ، كما تبادلوا الإعجاب بقدرته على الخطابة والبلاغة مع أنّ ذلك ينافي المنطق والواقع ، ولا يصمد أمام النقد التاريخي .

لذلك جاء هذا البحث في محاولة للفت الانتباه على عدم تناول الكثير من الروايات على أنها حقائق تاريخية مُسلم بها ، بل يمكن إيرادها ضمن الأساطير التي قد تهدف إلى غاية دينية أو عسكرية أو أي هدف عملي آخر . كما أنّ كثرة الروايات التي واكبت الفتح الإسلامي للأندلس وبعدها عن الحقيقة كان دافعاً لاختيار موضوع هذا البحث ، لإبداء الرأي في الروايات وتفسيرها بما يتلائم مع الواقع .

قبل تناول الأساطير العربية في الأندلس ، لا بدّ لنا من معرفة مفهوم الأسطورة ، وغاياتها ، وأثرها على الفرد والجماعة ، لذلك لن تناول الأسطورة باعتبارها نتاج الخيال المجرد ، بل على أنها ترجمة



والمسلمون عموماً بوجودهم في المغرب وبأرواح المسلمين من أجل شرف ابنة يليان ؟ إلا أن وجود مثل هذه الأسطورة في المصادر العربية يجعلنا نتوقف ونبحث في سبب وجودها ، والذي يرجع إلى أهمية الشرف عند العربي والمسلم وقيمتها ، فالشرف عند العربي له معنى عظيم جداً ، ويستحق أن تُزهق الأرواح من أجله ، بمعنى أن العقلية العربية تصدق مثل هذا السبب ، ولا تستوعب الأسباب السياسية ، وفي هذا الاعتقاد انقصاص واضح من العقلية العربية وقدرتها على رسم الأهداف .

لهذا جاءت الرواية الإسبانية لتنفّي هذه الأسطورة كسبب لدخول المسلمين لإسبانيا ، وأرجعت السبب إلى ورثة الملك السابق غيطشة ، الذين حققوا على لذريق لاستحواذه على الملك وإبعادهم عنه ، فكانوا هم الذين ذهبوا إلى صديق والدهم يليان حاكم سبتة ، واتفقوا على الاستعانة بالمسلمين لإزاحة لذريق <sup>(10)</sup> وهذه الرواية هي الأقرب إلى الواقع .

#### ب - رؤية طارق بن زياد للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :

اعتمد مؤرخو العرب على إخفاء حالة من البطولة الخارقة ، والشجاعة النادرة للقادة الفاتحين ، فقد نسبوا لعقبة بن نافع كثيراً من الأعمال الخارقة <sup>(11)</sup> ، كما يُنسب لطارق بن زياد أنه أثناء عبوره المضيق إلى إسبانيا نام ورأى النبي (صلى الله عليه وسلم) وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا العشي ، فيقول له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « يا طارق ، تقدم لشأنك » ، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا أمامه ، فهب من نومه مسببشراً <sup>(12)</sup> ، هذه الرؤيا التي تُشرت مع بداية دخول المسلمين إلى إسبانيا جاءت من أجل رفع المعنويات للجند وحثهم على الاستبسال في القتال ، وتطمين المقاتلين بأن الرسول ( صلى الله عليه وسلم )

في الحضارة الإنسانية . ومن خلال هذا البحث "أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس" سنتناول دور الأسطورة في حركة المجتمع وتوجيهه ، من خلال مجموعة من الأساطير عرفت هناك منذ أيام الفتح الإسلامي للأندلس ، فمنها ما يتعلق بالفتح ، ومنها ذات طابع ديني ، أو معتقدات أندلسية .

#### أ - أسطورة ابنة يليان :

تذكر الرواية الإسلامية قصة تقول إن سبب تدخل المسلمين في إسبانيا هو رغبة يليان حاكم سبتة في الانتقام من ملك إسبانيا لذريق ، وذلك لاعتدائه على ابنة فلورندا <sup>(8)</sup> .

فيذكر المقرئ نقلاً عن الخزائني أنه كان من عادة أكابر العجم بالأندلس وقوادهم أن يبيعوا أولادهم إلى بلاط الملك بطليطلة ، للتأديب ولزيادة الأواصر بين الحكام والقادة ، فكان أن أرسل يليان حاكم سبتة بابنته البارة الجمال إلى قصر لذريق صاحب الأندلس ، فأعجب بها هذا وأحبها حباً شديداً ، حتى استكرهها على نفسها ، ثم أعلمت أباه بما حصل سراً ، فاشتدت حمية الأب وقال : « ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ، ولأحفرن تحت قدميه <sup>(9)</sup> ، فكان ذلك هو السبب في فتح المسلمين للأندلس .

هذه الرواية ، في رأينا ، ليست إلا أسطورة لا تمت للحقيقة بصلة ، ولو أخذنا بهذه الرواية سبب لفتح الأندلس لانتقصنا من أهداف المسلمين العامة للفتوح ، وأهمها نشر الدين الإسلامي ، كما أن استكمال عملية الفتح في المغرب زمن موسى بن نصير تقتضي الاستمرار في الفتوح في إسبانيا ، خاصة وأنه لا يوجد إلا مضيق ضيق يفصل المغرب عن إسبانيا .

كما أن عملاً عظيماً جداً كفتح إسبانيا لا يمكن أن يكون سببه الثأر لشرف ابنة يليان ، وهل يمكن أن يغامر الخليفة الوليد وقائده موسى بن نصير





??

في أحد أهدافه الأساسية ، لإسقاء مزيد من الحماسة للجند ، فهل يمكن بعد كل هذا أن يقوم طارق بحرق مراكبه التي تعتبر أهم وسيلة للنجاة إذا ما هُزموا في المعركة .  
وعلى التأكيد بأن طارق بن زياد قائد عسكري مجرب له خبرات عديدة ، فرجل مثله لا يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ الكبير ، لأن إحراق السفن لا تتم عن بطولة أو ذكاء ، إنما عن غيابة القيادة .  
3- تذكر بعض المصادر أن طارق جاز إلى الأندلس في مراكب ليوليان . حاكم مدينة سبته . أو تجار الروم (22) ، فكيف يحرق ما لا يملك إذا صحت هذه الأقاويل .  
4- يذكر صاحب أخبار مجموعة أن جيش طارق ، والذي بلغ تعداده سبعة آلاف جندي ، نقلوا إلى الأندلس بواسطة أربع سفن « فاخطلت السفن بالرجال والخيل وضمهم إلى جبل على شط البحر منيع فقتله والمراكب تختلف » (23) . فصاحب الأخبار يناقض نفسه في هذه الرواية ، حيث لا يعقل أن يتم نقل سبعة آلاف جندي مع سلاحهم وخيولهم في أربع سفن ، ثم هو يقول إن طارق نزل على شط البحر والمراكب تختلف ، أي أن حركة المراكب من سبته إلى الساحل الإسباني لم تتوقف ، وأربع سفن لا تصور هذه الحركة ، وإذا أحرقت المراكب فكيف أرسل موسى بخمسة آلاف جندي إضافي لطارق بعد الاستغاثة التي وجهها إليه (24) ، كذلك هناك روايات تؤكد أن المسلمين اعتمدوا في نقل جندهم على سفن لهم وليس ليليان أو للروم (25) .  
أما الخطبة فمن الطبيعي أن يُلقى طارق بن زياد كقائد عسكري خطبة حماسية في جنده لشحن همهم ، ويحثهم بها على الصمود ، وبذل الأرواح رخيصة في سبيل الله ، إلا أن الخطبة التي أوردتها المقرئ (26) ، وابن خلكان (27) ، وابن قتيبة (28) تشك في نسبتها إلى طارق ، وذلك لكونها قطعة أدبية فريدة يعجز

طارق البربري الأصل على صياغتها ، ويعجز جنده البربري على فهمها (29) ، ثم ما جاء في الخطبة من سجع ليس من أسلوب القرن الأول الهجري ، ولا يمكن لقائد عسكري أن يهتم بهذا النوع من الصياغة (30) حيث يقول " وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الصنان ، من بنات اليونان ، الرافلات بالدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ... " (31) ، فهذه الكلمات لا تقال في بداية معركة ليس للمقاتل منها حظ في الحياة حتى يتمتع بما ذكر ، إلا أنه يمكن أن نتحدث بمثل تلك الكلمات والأوصاف في حفلة سمر مع نغمات موسيقية ، وليس قبيل معركة مصيرية .

ومن يقرأ الخطبة كاملة لا يجد فيها المعاني الجهادية التي دأب قادة الإسلام على تذكير جندهم بها في المعارك مع الأعداء ، فالخطبة لا تشير إلى حب المقاتلة للإسلام ورغبتهم في الاستشهاد (32) ، بل تشير إلى حبهم لمناخ الحياة الدنيا ، من جوار ، وملذات أخرى ، " واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً " (33) .

والملفت للانتباه أيضاً في هذه الخطبة خلوها من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول (ص) ، مع أن الموقف يتطلب مثل ذلك . كذلك وردت في الخطبة كلمات لم تكن مستعملة في ذلك الوقت مثل كلمة " اليونان " ، علماً بأن مؤرخي الأندلس اعتادوا على استعمال كلمة القوط أو الروم ، أو الطولج والعجم والمشركين والكفار (34) .

كما يلاحظ اختلاف واضح في نص الخطبة ما بين ابن قتيبة (35) من جهة وابن خلكان والمقرئ (36) من جهة أخرى ، واختلاف عبد الملك بن حبيب عنهم جميعاً فيما أوردته عن خطبة طارق حيث قال " فلما بلغ من حش الناس على الجهاد ، ورغبتهم في الشهادة ،

والذي بلغ تعداده سبعة آلاف جندي ، نقلوا إلى الأندلس بواسطة أربع سفن « فاخطلت السفن بالرجال والخيل وضمهم إلى جبل على شط البحر منيع فقتله والمراكب تختلف » (23) . فصاحب الأخبار يناقض نفسه في هذه الرواية ، حيث لا يعقل أن يتم نقل سبعة آلاف جندي مع سلاحهم وخيولهم في أربع سفن ، ثم هو يقول إن طارق نزل على شط البحر والمراكب تختلف ، أي أن حركة المراكب من سبته إلى الساحل الإسباني لم تتوقف ، وأربع سفن لا تصور هذه الحركة ، وإذا أحرقت المراكب فكيف أرسل موسى بخمسة آلاف جندي إضافي لطارق بعد الاستغاثة التي وجهها إليه (24) ، كذلك هناك روايات تؤكد أن المسلمين اعتمدوا في نقل جندهم على سفن لهم وليس ليليان أو للروم (25) .  
أما الخطبة فمن الطبيعي أن يُلقى طارق بن زياد كقائد عسكري خطبة حماسية في جنده لشحن همهم ، ويحثهم بها على الصمود ، وبذل الأرواح رخيصة في سبيل الله ، إلا أن الخطبة التي أوردتها المقرئ (26) ، وابن خلكان (27) ، وابن قتيبة (28) تشك في نسبتها إلى طارق ، وذلك لكونها قطعة أدبية فريدة يعجز

إن انتصار طارق في معركة شدونة لم يكن حدثاً عادياً، بل مهماً بالنسبة للمسلمين عرباً وبربراً، وبالنسبة للإسبان أيضاً، لهذا فإن لكل طرف من هذه الأطراف المصلحة في إشاعة الأساطير حول هذا الحدث الهام، فالإسبان لهم مصلحة في أسطورة حرق السفن ليبرروا هزيمتهم أمام المسلمين، لأن قيام طارق بحرق المراكب معناه أن جنده الإثنى عشر ألفاً تحولوا إلى وحدة استشهادية لا يمكن لأي جيش مقاومتهم، إلا أن المصلحة العربية في إشاعة هذه الأسطورة هي الأقوى، وذلك لإظهار طارق بن زياد البربري جاهلاً في الأمور العسكرية، خاصة وأن العرب اعتادوا على عدم تولية الموالي قيادة الجيوش، حيث كانت القيادة حكراً على العرب وحدهم.

فكانت أسطورة حرق السفن التي أرى بها إدانة واضحة لطارق بن زياد، الذي يقوم بإحراق وسيلة النجاة الوحيدة للجيش الإسلامي، وكأن العرب يريدون القول بأن القيادة العسكرية لا تليق إلا بالعرب وليس للموالي، وقد يكون البربر هم مصدر هذه الأسطورة لتبيان مدى شجاعتهم وتصميمهم على القتال وأنهم ليسوا بأقل من العرب شجاعة وإقدام، وأنهم لا يحدثون أنفسهم بالهروب من وجه الأعداء ويواجهون مصيرهم إما النصر أو الشهادة، وقد توحى أسطورة حرق المراكب بالبطولة العظيمة، والتصميم على القتال وتحقيق الأهداف، وتغليب إرادة الموت في سبيل الله على إرادة الحياة، وتغليب إرادة القتال والصمود والنصر على الهزيمة، إذن حرق المراكب لم يدع مجالاً أمام المسلمين إلا الصمود والاستبسال في المعركة، لأن هذا من أسس الانتصار، وهذا ما أراد إيصاله للقائمين بحرق المراكب.

أما الخطبة فهي الأخرى منسوبة لطارق، ومما لا شك فيه أن أحد الكتاب العرب هو من قام بإنشاء تلك القطعة الأدبية الرائعة، ونسبها إلى طارق، لهذا فإن البربر قد يوافقون على نسبتها إلى طارق لما فيها من

ثم قال: أيها الناس، أين المفر؟ والبحر من وراءكم، والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله إلا الصدق والصبر، ألا وإني صادم إلى طاغيتهم بنفسي، لا أقصر حتى أخالطه أو أقتل دونه" (37).

وهذا الاختلاف يُفسر إلى عدم صحة نسبة الخطبة إلى طارق، كما أن أقدم نص هو لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238هـ/852م أي بعد أكثر ما يزيد عن قرن من حدوث المعركة التي قيلت بها الخطبة، ثم وردت عند ابن خلكان المتوفى سنة 681هـ/1282م وهو عراقي من أربيل، والمقري المتوفى سنة 1041هـ/1631م، ينقل عنه هذه الخطبة، أما ابن قتيبة فقد توفي سنة 276هـ/889م، إلا أنه يُشك في نسبة كتاب الإمامة والسياسة إليه.

مما سبق، نجد أن أقرب المؤرخين إلى الحدث وهو عبد الملك بن حبيب الذي أورد نصاً مقتضباً جداً، ثم جاء صاحب الإمامة والسياسة بنص جديد أطول من نص ابن حبيب، ويختلف عما جاء به ابن خلكان، أما ابن خلكان فكما أسلفت هو مشرقي أي بعيد عن المغرب فكيف يذكر تلك الخطبة المطولة لطارق، من أين حصل عليها، ويجب أن لا ننسى أنه عاش في القرن السابع الهجري والخطبة المنسوبة لطارق في القرن الأول الهجري، ثم يأتي المقري الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري فينقل لنا الخطبة عن ابن خلكان، فهل من الممكن بعد ذلك أن نصدق بأن الخطبة لطارق بن زياد.

والسؤال الذي يجب أن يُطرح، ما الغاية والهدف من أسطورة حرق السفن وخطبة طارق؟ ومن الطرف المستفيد من هذه الأسطورة؟ مما لا شك فيه أن ظهور أي أسطورة يكون لغايات خاصة سياسية، أو اجتماعية، أو دينية، أو عنصرية تخدم في الدرجة الأولى الفئة التي روجت لهذه الأسطورة، إلا أن هذه الأسطورة كما يبدو لم تظهر في عهد طارق بن زياد، بل بعد ذلك بسنوات طويلة.



ضربوا الأوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسها ، فتلقت الأوتاد ولم تلج ، فنظروا فإذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام »<sup>(42)</sup> .

وقيل : "إن رجلاً كان مع موسى ببعض غزواته بالأندلس ، وأنه رأى رجلين يحملان طنفسه منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت ، فلما أثقلتها أنزلها ، ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين ، فأخذا نصفاً وترك الآخر ، قال : فلقد رأيت الناس يمرون عليها يميناً وشمالاً ، ما يلتفتون إليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع"<sup>(43)</sup> .

وقيل أيضاً إن رجلاً جاء إلى موسى بن نصير ليدل المسلمين على كنز ، وبعد أن أرشدهم على مكانه ، قال لهم انزعوا ها هنا ، فنزعوا ، "وسال عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط ، فلما رأوه بهتوا وقالوا : لا يصدقنا موسى ، أرسلوا إليه فأرسلوا حتى جاء ونظر ، قال : وكانت الطنفس قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد"<sup>(44)</sup> .

وذكر أن الدابة كانت تطلع في بعض غزوات موسى ، فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير من الذهب والفضة<sup>(45)</sup> ، وقال آخر "قدمت الأندلس مع امرأة عطارة فخرجت بخمس مئة رأس ، فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه"<sup>(46)</sup> . أما مائدة سليمان التي غنمها المسلمون في طليطلة<sup>(47)</sup> ، والتي يقال إن طارق أخفى إحدى أرجلها ، فهي أسطورة أيضاً ، فلم تكن هناك مائدة ، أصلاً<sup>(48)</sup> وليس لسليمان بن داود عليه السلام أي علاقة بها<sup>(49)</sup> .

ويصف الحميري نخائر الأندلس عند افتتاحها فيقول "ووجد أهل الإسلام فيها نخائر عند افتتاح الأندلس ، كانت تقوت الوصف كثرة ، فمنها مائة وسبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر ، وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد فيها ألفا سيف مجوهر

جمال المعاني ، وإظهار قدرته في العربية ، بل تفوقه على العرب في ذلك ، وهذا ما يريده كاتب الخطبة لأن المعاني التي وردت فيها تدين - حسب رأيي - جميع البربر لأنها تظهرهم بمظهر المتلف على متاع الحياة الدنيا ، وأن غايتهم القصوى هي التي ذكرها قائدهم من الحصول على الحور الحسان<sup>(38)</sup> . كما يلاحظ في الخطبة استمرار طلب طارق من جنده الصمود ، وكأنه يشك في صمودهم وقدرتهم على القتال .

لهذا يمكن القول أن أسطورة حرق السفن وخطبة طارق تندرج ضمن الماحكات العربية البربرية التي ظهرت بعد ذلك ، وإلى البغضاء بين الطرفين ، ويؤكد المقرئ ذلك بقوله "لما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم ، أبغضوهم وحسدوهم ، فلم تجد أندلسياً إلا مبغضاً بربرياً"<sup>(39)</sup> .

وقد توسعت البغضاء والماحكات بين العرب والبربر حتى تناولت في موضوعاتها المفاضلة بين المدن وسكانها ، ويظهر ذلك من خلال رسالة ابن حزم في تفضيل الأندلس والأندلسيين على غيرهم وخاصة البربر<sup>(40)</sup> ، كما نجد ابن الربيب القيرواني يتهم علماء الأندلس على عدم قدرتهم على التأليف ، وعلى عدم وجود أي مؤلفات لهم فيقول "وعلمائكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح.... يخاف إن صنف أن يعنف ، وإن ألف أن يخالف..."<sup>(41)</sup> .

## د - أساطير الكنوز الأندلسية :

احتلت المغريات المادية موقعها في عقول الفاتحين ، حيث حلموا بما تحتويه جزيرة الأندلس من خيرات ، وانتشرت الأساطير التي تتحدث عن الذهب والنفائس المختلفة التي وجدت هنا وهناك ، فقد روي عن الليث بن سعد « أن موسى لما دخل الأندلس ،



????? ?????? ?????? ?????? ?????? ??????

والحروب هي تربة خصبة لإسعاد الأساطير ، وهي في الغالب تبريرية أي لتبرير حدوث شيء ما ، فنجد الفتح الإسلامي للأندلس يرجع في أحد أسبابه إلى الأخلاق ، وهو اعتداء لذريق على فلوريندا ابنة يولييان (56) ، مع أن الحقيقة التاريخية تدل على وجود مخطط إسلامي لفتح شبه الجزيرة بعد افتتاح المغرب ، من أجل السيطرة على القسطنطينية وتطويقها من جهة الشرق والغرب (57) .

هذه الأسطورة تتناول معاني عدة أولها : حسد موسى لطارق على انتصاراته ، والثانية : أن موسى أنف أن يسلك الطريق نفسه الذي سلكه طارق سابقاً ، والثالثة تأنيب موسى لطارق وضربه بالسوط بعد لقاءهما .

أما قضية الحسد فعلياً أن نعرف أن موسى لم يرسل طارقاً للأندلس ليُهزم ، بل لينتصر ، وانتصار طارق هو انتصار موسى لأنه هو الذي اختاره لقيادة الجيش وأرسله ، لهذا فالحسد غير واقعي ، أما سلوك موسى طريقاً مغايراً لطارق فهذا تقتضيه الحكمة العسكرية ، إذ لا يُعقل أن يسير موسى الطريق نفسه الذي سار به طارق ، خاصة وأن طارقاً قد آمن هذا الطريق ، لهذا سار طارق في طريق وجاء موسى وسار في طريق مغاير وتم لقاؤهما قرب طليطلة ، فشكلاً يسيرهما معاً ما يسمى بالمصطلح الحديث " بالكماشة " ، أما ما يقال عن تأنيب موسى لطارق وضربه ، فنحن نعرف مدى تلهف موسى على فتح الأندلس ، ومدى حرصه على القوات الإسلامية ، ويظهر ذلك من الاستعدادات للفتح حيث أرسل السرايا وصنع السفن وأمد طارقاً بالرجال ، كل ذلك حرصاً على أرواح المسلمين ، وتقدم طارق نحو الشمال باتجاه قرطبة بعد انتصاره بشونة يُعد مغامرة غير محمودة قد تضرر بالمسلمين في بلاد لا يعرفونها جيداً ، لكن الله سلم الجند ، وانتهت المغامرة

### و- الخلاف بين موسى وطارق :

من الأساطير الطريفة التي لا تخلو من السذاجة أسطورة حسد موسى لطارق على انتصاراته ، فقد تحدثت الروايات عن غضب موسى بن نصير على طارق بن زياد لاستمرار تقدمه في الفتح بعد انتصاره في موقعة شذونة ، ومن ثم حسده على هذه الانتصارات فسار موسى بقواته إلى الأندلس حتى لا ينسب الفتح لطارق بل له .

فيذكر الضبي أن طارق كتب إلى موسى بغلبته على ما غلب عليه من الأندلس وفتحه ، وما حصل عليه من الغنائم ، فحسده موسى على الانفراد بذلك ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه بالفتح ، وينسبه إلى نفسه ، ثم أن طارق بن زياد استرضى موسى بن نصير ، وأزال ما بنفسه من حسد عليه بقوله : إنما أنا مولاك ومن قبلك ، وهذا الفتح لك ، وأعطاه طارق ما غنمه من الأموال (58) ، ويقول ابن عذاري إنه لما أفاء الله على طارق ، كتب له موسى بأقبح السب ، وأمره ألا يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه ، والذي حمل على ذلك حسده لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم (59) ، أما صاحب الأخبار فيقول : إن موسى بن نصير دخل في قواته إلى الأندلس بعد ما بلغه ما صنع طارق فحسده (60) ، ويقول المقرئ مثل ذلك أيضاً (61) .

وتستمر الأسطورة في سرد هذا الحدث بأن موسى



-بحرب الأسفنديا- إلى الأقباط من المسلمين

بمصادرة جميع أموالهم كتعويض عما فقدوه من أموال وكنوز أثناء الفتح الإسلامي للأندلس.

\* إن الأساطير توضع لخدمة أهداف مرحلية كما.

تبين من العرض السابق ، مثل رفع الروح المعنوية أو شحذ الهمم للقتال .

\* إن سبب الفتح الإسلامي للأندلس كان نتيجة لخطة موضوعة ومعدة سلفاً ، إلا أن يليان وأبناء غيطشة سارعا في تنفيذ هذه الخطة .

\* كانت الروى والنوابع غالباً ما تقال مع بداية أعمال الفتح لرفع الروح المعنوية والتأثير على النواحي النفسية .

\* ما يُنسب لطارق من حرق المراكب ليس إلى أسطورة ولا تعبر عن حكمة عسكرية ، كما أن الخطبة المنسوبة إليه لها أهداف عدة وهي النيل من البربر وإظهارهم بمظهر المتعطشين إلى الغنائم وليس إلى الشهادة في سبيل الله .

\* إن الكنوز والذخائر التي قيل بأن المسلمين استولوا عليها من إسبانيا بعيدة عن الصحة لأن ذلك يتنافى والوضع الاقتصادي السيء الذي كانت تعاني منه إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي .

\* إن الخلاف المزعوم بين موسى وطارق أو حسد موسى على طارق ، ليس إلا صورة من المماحكات بين العرب والبربر محاولة كل طرف تبيان دوره في فتح الأندلس .

وهذا يحصل بين الأخ وأخيه، والصديق وصديقه، فهو تأنيب ناجم عن الحرص والمحبة والإعجاب والتقدير لطارق وليس حسده أو غضبا عليه كما يُقال .

إلا أن هذه الأسطورة تبين بشكل جلي وواضح وجود النزعة العنصرية بين العرب والبربر منذ بدايات الفتح الإسلامي للأندلس ، والتي استمرت بعد ذلك، حتى أن العرب كرهوا البربر والعكس صحيح ، لذلك لا يستبعد أن يكون مصدر هذه الأسطورة نابعا من البربر أنفسهم ليبينوا فضلهم في فتح الأندلس، واستبعاد دور العرب في ذلك .

### الختاتمة:

من خلال العرض السابق يظهر :

\* إن الأساطير عادة ما تنطلق من الواقع حتى يصعب أحيانا الفصل بين الخيال والحقيقة التاريخية، كما تبين من الأمثلة السابقة .

\* إن الأسطورة تلبي عادة حاجة نفسية ، أو مصلحة ما لدى شعب معين ، فقد كانت غالبية أساطير الفتح تمثل صراعاً حضارياً وعنصرياً خفياً بين العرب والبربر كما في الخلاف والتحاسد بين موسى وطارق ، أو في الخطبة المنسوبة لطارق ، والتي لا يمكن الاعتقاد بقدرته على صياغتها ، وإذا استطاع ، فليس بداية المعركة وقتها ، فهذه الأسطورة تعتبر إهانة واضحة ليس لطارق فقط وإنما للبربر عموماً لتذكيرهم بذنوب مستوهم الحضاري بالمقارنة مع العرب .

\* ومن الأساطير ما يدل على الفخر بالانتماءات ، عن طريق المبالغة في حجم الغنائم المكتسبة ، مثل الحصول على المائدة السلیمانية وكنوز سليمان الطائفة ، وهذه المبالغة في الغنائم أساءت نسبياً إلى الأهداف الحقيقية للفتح الإسلامي ، كما أن مبرراً كافياً لممالك الشمال الإسباني في فترة ما يُسمى

????? ?????? ?????? ?????? ??????

الهوامش:

1. ابن منظور، لسان العرب، 4، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1968، ص 363، مادة "سطر"، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج 2، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص 684، مادة "سطر"، القيروز أبيادي، القاموس المحيط، ج 2، دار الجليل، بيروت، ب. ت. ص 49، مادة "سطر".

2. المعجم الوسيط، ج 1، ط 3، ص 445، مادة "سطر".

3. سورة الأنعام، الآية 25.

4. القرآن الكريم، وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين.

5. هيرمان ثور ثروب فراي، في النقد والآدب، الآدب والأسطورة، ترجمة عبد الحميد إبراهيم شحبة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب. ت. ص 71.

6. راجع هذه النظرية في كتاب Malinowski Magic, Science, and Religion. Garden city, Newyork, 1954.

7. غوستان لوبون، فلسفة التاريخ، تعريف، عادل زعير، دار المعارف، مصر، 1954م، ص 271، ص 272.

8. المقري، نفح، ج 1، ص 222.

9. المصدر نفسه، ج 1، ص 243-244، أخبار مجموعة، 5. وقد ورن هذه القصة في مصادر أخرى مثل ابن القوطية القرطبي، ص 8، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 7، الحميري، الروض، ص 34.

10. يذكر ابن عذاري عن عيسى بن محمد أن السبب في دخول طارق الأندلس، أن طارق كان والياً على طنجة، وكان يوماً جالساً إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر، فلما أرست خرجوا إليها، فنزعوا

المغرب، ج 2، ص 6.

كما يذكر المقري نقلاً عن ابن حيان «ذكروا أن لخریق لم يكن من أبناء الملوك ولا بمصحح النسب في القوط، وأنه إنما نال الملك عن طريق الغصب والتشور عندما مات غبطة الملك الذي كان قبله، وكان أثيراً لديه مكيناً، فاستسفر أولاده لمكانة، واستمال طائفة من الرجال مالوا معه، فانتزع الملك من أولاد غبطة واستبقاهم، فكانوا هم الذين دبروا عليه عندما لقي رجال العرب المقتحمين عليه بالأندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد ومولى موسى بن نصير طماعة منهم في أن يودي ويخلص إليهم ملك أبيهم، نفح الطيب، ج 1، ص 240.

11. ينظر في ذلك ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 196، البلائري في فتوح البلدان، ص 230، ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 20، الناصري، الاستقصا، ج 1، ص 134-135.

12. ينظر المقري، نفح، ج 1، ص 221.

13. من أمثلة هذه النبوءات ما يتعلق بعمر بن العاص وفتحه مصر، ينظر ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا، ص 55، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة الاسكندرية.

14. أحمد مختار العبادي، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديان، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 13م، 1965-1966م، ص 46.

15. الإنريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994م، ص 540.

تحقيق إحسان عباس، ط 2، مكتبة لبنان-بيروت

2. المعجم الوسيط، ج 1، ط 3، ص 445، مادة "سطر".

3. سورة الأنعام، الآية 25.

4. القرآن الكريم، وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين.

5. هيرمان ثور ثروب فراي، في النقد والآدب، الآدب والأسطورة، ترجمة عبد الحميد إبراهيم شحبة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب. ت. ص 71.

6. راجع هذه النظرية في كتاب Malinowski Magic, Science, and Religion. Garden city, Newyork, 1954.

7. غوستان لوبون، فلسفة التاريخ، تعريف، عادل زعير، دار المعارف، مصر، 1954م، ص 271، ص 272.

8. المقري، نفح، ج 1، ص 222.

9. المصدر نفسه، ج 1، ص 243-244، أخبار مجموعة، 5. وقد ورن هذه القصة في مصادر أخرى مثل ابن القوطية القرطبي، ص 8، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 7، الحميري، الروض، ص 34.

10. يذكر ابن عذاري عن عيسى بن محمد أن السبب في دخول طارق الأندلس، أن طارق كان والياً على طنجة، وكان يوماً جالساً إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر، فلما أرست خرجوا إليها، فنزعوا

10. يذكر ابن عذاري عن عيسى بن محمد أن السبب في دخول طارق الأندلس، أن طارق كان والياً على طنجة، وكان يوماً جالساً إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر، فلما أرست خرجوا إليها، فنزعوا

طلعت في البحر، فلما أرست خرجوا إليها، فنزعوا





عذاري، البيان، ج2، ص16، المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص261.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، من علماء القرن السادس. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م.
3. ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ/1147م). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1997م.
4. البلاذري، أبو الحسن. فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م.
5. الجوهري: إسماعيل بن حماد. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م.
6. الحجي: عبد الرحمن علي. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار القلم، ط3، 1987م.
7. الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
8. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، 1968م.
9. سالم: السيد عبد العزيز. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ت.
10. الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت

49. المقرئ، نفح، ج1، ص261-262، الحميري، الروض المعطار، ص393.
50. الروض المعطار، ص393.
51. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص52.
52. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص61.
53. أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديان، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م13، 1965-1966م، ص42-43، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص6، 7، 130، 171. ابن عذاري، البيان، ج2، ص3، المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص260-261. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تقديم ونشر وتعليق عبد الله أنيس الصباغ، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1957م، ص7.
54. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص61.
55. المرجع نفسه، ص61.
56. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، (مقدمة المحقق)، ص18-19، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص5.
57. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص37.
58. بغية الملتبس، ص15.
59. البيان المغرب، ج2، ص13.
60. مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص15.
61. نفح الطيب، ج1، ص259.
62. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص15، ابن عذاري، البيان، ج2، ص13، المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص259.
63. مجهول، أخبار مجموعة، ص18-19، ابن

- 14 أمرائها رحمهم الله والحرر [www.alukah.net/b/3/iss1/4](http://www.alukah.net/b/3/iss1/4)